الهذلي . وأخرجه الترمذي من حديث إسماعيل بن إبراهيم وهو ابن علية ، وقال : صحيح . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن عصام الأصفهاني ، حدثنا المؤمل بن إسماعيل ، حدثنا عبيد الله بن أبي حميد عن أبي المليح عن أبي عزة الهذلي قال : قال رسول الله ﷺ «إذا أراد الله قبض عبد بأرض جعل له إليها حاجة فلم ينته حتى يقدمها» ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿إن الله عنده علم الساعة - إلى - عليم خبير﴾ .

[حديث آخر] قال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا أحمد بن ثابت الجحدري ومحمد بن يحيى القطعي قالا : حدثنا عمر بن علي ، حدثنا إسماعيل عن قيس عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ «إذا أراد الله قبض عبد بأرض جعل له إليها حاجة» ثم قال البزار : وهذا الحديث لا نعلم أحداً يرفعه إلا عمر بن علي المقدمي . وقال ابن أبي الدنيا : حدثني سليمان بن أبي مسيح قال : أنشدني محمد بن الحكم لأعشى همدان :

فما تزود مما كان يجمعه ... سوى حنوط غداة البين مع خرق
وغير نفحة أعواد تشب له ... وقل ذلك من زاد لمنطلق
لا تأسين على شيء فكل فتى ... إلى منيته سيار في عنق
وكل من ظن أن الموت يخطئه ... معلل بأعاليل من الحمق
بأيما بلدة تقدر منيته ... إلا يسير إليها طائعاً يبق

أورده الحافظ بن عساكر رحمه الله في ترجمة عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث ، وهو أعشى همدان ، وكان الشعبي زوج أخته ، وهو مزوج بأخت الشعبي أيضاً ، وقد كان ممن طلب العلم والتفقه ، ثم عدل إلى صناعة الشعر فعرف به ، وقد روى ابن ماجة عن أحمد بن ثابت وعمر بن شبة ، كلاهما عن عمر بن عكرمة مرفوعاً إذا كان أجل أحدكم بأرض أتت له إليها حاجة ، فإذا بلغ أقصى أثره قبضه الله عز وجل ، فتقول الأرض يوم القيامة : يا رب هذا ما أودعتني . قال الطبراني : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر عن أيوب عن أبي المليح عن أسامة أن رسول الله ﷺ قال «ما جعل الله منية عبد بأرض إلا جعل له إليها حاجة» .

سورة السجدة

ترتيبها ٣٢ — آياتها ٣٠

روى البخاري في كتاب الجمعة : حدثنا أبو نعيم ، حدثنا سفيان عن سعد بن إبراهيم عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج عن أبي هريرة قال : كان النبي ﷺ يقرأ في الفجر يوم الجمعة ﴿الم تنزيل﴾ السجدة و﴿هل أتى على الإنسان﴾ ورواه مسلم أيضاً من حديث سفيان الثوري به . وقال الإمام أحمد : حدثنا أسود بن عامر ، أخبرنا الحسن بن صالح عن ليث عن أبي الزبير عن جابر قال: كان النبي ﷺ لا ينام حتى يقرأ ﴿الم تنزيل﴾ السجدة، وتبارك الذي بيده الملك، تفرد به أحمد .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿٣﴾

قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة بما أغنى عن إعادته ههنا . وقوله ﴿تنزيل الكتاب لا ريب فيه﴾ أي لا شك فيه ولا مرية أنه منزل ﴿من رب العالمين﴾ ثم قال تعالى مخبراً عن المشركين أم ﴿يقولون افتراه﴾ أي اختلقه من تلقاء نفسه ﴿بل هو الحق من ربك لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون﴾ أي يتبعون الحق .

ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ

﴿ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦﴾

يخبر تعالى أنه خالق للأشياء فخلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ، ثم استوى على العرش ، وقد تقدم الكلام على ذلك ﴿ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع﴾ أي بل هو المالك لأزمة الأمور ، الخالق لكل شيء ، المدبر لكل شيء ، القادر على كل شيء ، فلا ولي لخلقه سواه ، ولا شفيع إلا من بعد إذنه ﴿أفلا تتذكرون﴾ يعني أيها العابدون غيره المتوكلون على من عداه ، تعالى وتقدس وتنزه أن يكون له نظير أو شريك أو وزير أو نديد أو عديل ، لا إله إلا هو ولا رب سواه .

وقد أورد النسائي ههنا حديثا فقال : حدثنا إبراهيم بن يعقوب ، حدثني محمد بن الصباح ، حدثنا أبو عبيدة الحداد ، حدثنا الأخضر بن عجلان عن أبي جريج المكي عن عطاء عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ أخذ بيدي فقال «إن الله خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ، ثم استوى على العرش في اليوم السابع ، فخلق التربة يوم السبت ، والجبال يوم الأحد ، والشجر يوم الاثنين ، والمكروه يوم الثلاثاء ، والنور يوم الأربعاء ، والدواب يوم الخميس ، وآدم يوم الجمعة في آخر ساعة من النهار بعد العصر ؛ وخلقه من أديم الأرض : أحمرها وأسودها وطيبها وخبيثها ، من أجل ذلك جعل الله من بني آدم الطيب والخبيث» هكذا أورد هذا الحديث إسناداً ومتنا ، وقد أخرج مسلم والنسائي أيضاً من حديث حجاج بن محمد الأعور ، عن ابن جريج عن إسماعيل بن أمية ، عن أيوب بن خالد عن عبد الله بن رافع عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بنحو من هذا السياق وقد علله البخاري في كتاب التاريخ الكبير فقال : وقال بعضهم : أبو هريرة عن كعب الأحبار ، وهو أصح ، وكذا علله غير واحد من الحفاظ ، والله أعلم .

وقوله تعالى : ﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه﴾ أي يتنزل أمره من أعلى السماوات إلى أقصى تخوم الأرض السابعة ، كما قال تعالى : ﴿الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن﴾ الآية ، وترفع الأعمال إلى ديوانها فوق سماء الدنيا ومسافة ما بينها وبين الأرض مسيرة خمسمائة سنة وسمك السماء خمسمائة سنة وقال مجاهد وقتادة والضحاك : النزول من الملك في مسيرة خمسمائة عام وصعوده في مسيرة خمسمائة عام ، ولكنه يقطعها في طرفة عين ، ولهذا قال تعالى : ﴿في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون * ذلك عالم الغيب والشهادة﴾ أي المدبر لهذه الأمور ، الذي هو شهيد على أعمال عباده ، يرفع إليه جليلها وحقيرها وصغيرها وكبيرها ، هو العزيز الذي قد عز كل شيء فقهره وغلبه ، ودانت له العباد والرقاب ، الرحيم بعباده المؤمنين ، فهو عزيز في رحمته رحيم في عزته ، وهذا هو الكمال ، العزة مع الرحمة والرحمة مع العزة ، فهو رحيم بلا ذل .

﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ
وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝٩﴾

يقول تعالى مخبراً أنه الذي أحسن خلق الأشياء وأتقنها وأحكمها . وقال مالك عن زيد بن أسلم ﴿الذي أحسن كل شيء خلقه﴾ قال : أحسن خلق كل شيء كأنه جعله من المقدم والمؤخر ، ثم لما ذكر تعالى خلق السموات والأرض ، شرع في ذكر خلق الإنسان ، فقال تعالى : ﴿وبدأ خلق الإنسان من طين﴾ يعني خلق أبا البشر آدم من طين ﴿ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين﴾ أي يتناسلون كذلك من نطفة تخرج من بين صلب الرجل وترائب المرأة ﴿ثم سواه﴾ يعني آدم لما خلقه من تراب ، خلقاً سوياً مستقيماً ﴿ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة﴾ يعني العقول ﴿قليلا ما تشكرون﴾ أي بهذه القوى التي رزقكموها الله عز وجل ، فالسعيد من استعملها في طاعة ربه عز وجل .

﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ۝١٠ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى
وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ۝١١﴾

يقول تعالى مخبراً عن المشركين في استبعادهم المعاد حيث قالوا ﴿أئذا ضللنا في الأرض﴾ أي تمزقت أجسامنا وتفرقت في أجزاء الأرض وذهبت ﴿أئنا لفي خلق جديد﴾ أي أئنا لنعود بعد تلك الحال ؟ يستبعدون ذلك ، وهذا إنما هو بعيد بالنسبة إلى قدرتهم العاجزة لا بالنسبة إلى قدرة الذي بدأهم وخلقهم من العدم ، الذي إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ، ولهذا قال تعالى : ﴿بل هم بلقاء ربهم كافرون﴾ ثم قال تعالى : ﴿قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم﴾ الظاهر من هذه الآية أن ملك الموت شخص معين من الملائكة ، كما هو المتبادر من حديث البراء المتقدم ذكره في سورة إبراهيم ، وقد سمي في بعض الآثار بعزرائيل وهو المشهور ؛ قاله قتادة وغير واحد وله أعوان ، وهكذا ورد في الحديث أن أعوانه ينتزعون الأرواح من سائر الجسد حتى إذا بلغت الحلقوم تناولها ملك الموت ، قال مجاهد : حويت له الأرض فجعلت مثل الطست يتناول منها متى يشاء . ورواه زهير بن محمد عن النبي ﷺ بنحوه مرسلاً . وقاله ابن عباس رضي الله عنهما .

وروى ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ؛ حدثنا يحيى بن أبي يحيى المقري ، حدثنا عمر بن سمرة عن جعفر بن محمد قال : سمعت أبي يقول : نظر رسول الله ﷺ إلى ملك الموت عند رأس رجل من الأنصار فقال له النبي ﷺ «يا ملك الموت ارفق بصاحبي فإنه مؤمن» فقال ملك الموت : يا محمد طب نفساً وقر عيناً ، فإني بكل مؤمن رفيق ، واعلم أن ما في الأرض بيت مدر ولا شعر في بر ولا بحر إلا وأنا أتصفحهم في كل يوم خمس مرات ، حتى إني أعرف بصغيرهم وكبيرهم منهم بأنفسهم ؛ والله يا محمد لو أني أردت أن أقبض روح بعوضة ما قدرت على ذلك حتى يكون الله هو الآمر بقبضها . قال جعفر : بلغني أنه إنما يتصفحهم عند مواقيت الصلاة ، فإذا حضرهم عند الموت فإن كان ممن يحافظ على الصلاة دنا منه الملك ودفع عنه الشيطان ، ولقنه الملك لا إله إلا الله محمد رسول الله في تلك الحال العظيمة . وقال عبد الرزاق : حدثنا محمد بن مسلم عن إبراهيم بن ميسرة قال سمعت مجاهداً يقول : ما على ظهر الأرض من بيت شعر أو مدر إلا وملك الموت يطوف به كل يوم مرتين . وقال كعب الأحبار : والله ما من بيت فيه أحد من أهل الدنيا إلا وملك الموت يقوم على بابه كل يوم سبع مرات ينظر هل فيه أحد أمر أن يتوفاه ؛ رواه ابن أبي حاتم . وقوله تعالى : ﴿ثم إلى ربكم ترجعون﴾ أي يوم معادكم وقيامكم من قبوركم لجزائكم .

وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ۖ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

يخبر تعالى عن حال المشركين يوم القيامة وقالهم حين عاينوا البعث وقاموا بين يدي الله عز وجل ، حقيرين ذليلين ناكسي رؤوسهم ، أي من الحياء والخجل يقولون ﴿ربنا أبصرنا وسمعنا﴾ أي نحن الآن نسمع قولك ونطيع أمرك ، كما قال تعالى : ﴿أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا﴾ وكذلك يعودون على أنفسهم بالملامة إذا دخلوا النار بقولهم ﴿لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير﴾ وهكذا هؤلاء يقولون ﴿ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا﴾ أي إلى دار الدنيا ﴿نعمل صالحاً إنا موقنون﴾ أي قد أيقنا وتحققنا فيها أن وعدك حق ولقاءك حق ، وقد علم الرب تعالى منهم أنه لو أعادهم إلى دار الدنيا لكانوا كما كانوا فيها كفاراً يكذبون بآيات الله ويخالفون رسله ، كما قال تعالى : ﴿ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا﴾ الآية ، وقال ههنا ﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها﴾ كما قال تعالى : ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً﴾ ﴿ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ أي من الصنفين فدارهم النار لا محيد لهم عنها ولا محيص لهم منها ، نعوذ بالله وكلماته التامة من ذلك ، ﴿فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا﴾ أي يقال لأهل النار على سبيل التقريع والتوبيخ : ذوقوا هذا العذاب بسبب تكذيبكم به واستبعادكم وقوعه وتناسيكم له إذ عاملتموه معاملة من هو ناس له ﴿إنا نسيناكم﴾ أي سنعاملكم معاملة الناسي ، لأنه تعالى لا ينسى شيئاً ولا يضل عنه شيء ، بل من باب المقابلة كما قال تعالى : ﴿فاليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا﴾ . وقوله تعالى : ﴿وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون﴾ أي بسبب كفركم وتكذيبكم ، كما قال تعالى في الآية الأخرى ﴿لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً * إلا حميماً وغساقاً * - إلى قوله - فلن نزيدكم إلا عذاباً﴾ .

إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾

يقول تعالى : ﴿إنما يؤمن بآياتنا﴾ أي إنما يصدق بها ﴿الذين إذا ذكروا بها خروا سجداً﴾ أي استمعوا لها وأطاعوها قولاً وفعلاً ﴿وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون﴾ أي عن اتباعها والانقياد لها كما يفعله الجهلة من الكفرة الفجرة ، قال الله تعالى : ﴿إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾ ثم قال تعالى : ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ يعني بذلك قيام الليل وترك النوم والاضطجاع على الفرش الوطيئة ، قال مجاهد والحسن في قوله تعالى : ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ يعني بذلك قيام الليل . وعن أنس وعكرمة ومحمد بن المنكدر وأبي حازم وقتادة : هو الصلاة بين العشاءين . وعن أنس أيضاً : هو انتظار صلاة العتمة . ورواه ابن جرير بإسناد جيد . وقال الضحاك : هو صلاة العشاء في جماعة وصلاة الغداة في جماعة ﴿يدعون ربهم خوفاً وطمعاً﴾ أي خوفاً من وبال عقابه وطمعاً في جزيل ثوابه ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ فيجمعون بين فعل القربات اللازمة والمتعدية ؛ ومقدم هؤلاء وسيدهم وفخرهم في الدنيا والآخرة رسول الله ﷺ ، كما قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه .

وفينا رسول الله يتلو كتابه ... إذا انشق معروف من الصبح ساطع
أرانا الهدى بعد العمى ، فقلوبنا ... به موقنات أن ما قال واقع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه ... إذا استثقلت بالمشركين المضاجع

وقال الإمام أحمد : حدثنا روح وعفان قالا : حدثنا حماد بن سلمة ، أخبرنا عطاء بن السائب عن مرة الهمداني عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال «عجب ربنا من رجلين : رجل ثار من وطائه ولحافه من بين حبه وأهله إلى صلاته رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي ، ورجل غزا في سبيل الله تعالى فانهزموا ، فعلم ما عليه من الفرار وما له في الرجوع ، فرجع حتى أهريق دمه رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي ، فيقول الله عز وجل للملائكة : انظروا إلى عبدي رجع رغبة فيما عندي ورهبة مما عندي حتى أهريق دمه» . وهكذا رواه أبو داود في الجهاد عن موسى بن إسماعيل عن حماد بن سلمة به بنحوه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر عن عاصم بن أبي النجود عن أبي وائل عن معاذ بن جبل قال : كنت مع النبي ﷺ في سفر فأصبحت يوماً قريباً منه ونحن نسير فقلت : يا نبي الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار ، قال «لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه ، تعبد الله ولا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت ـ ثم قال : ـ ألا أدلك على أبواب الخير ؟ الصوم جنة ، والصدقة تطفيء الخطيئة ، وصلاة الرجل في جوف الليل ـ ثم قرأ ـ ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ حتى بلغ ﴿جزاء بما كانوا يعملون﴾ ثم قال ـ ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه ؟ ـ فقلت : بلى يا رسول الله فقال ـ: رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله ـ ثم قال ـ : ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟» فقلت : بلى يا نبي الله ، فأخذ بلسانه ثم قال «كف عليك هذا» . فقلت : يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؛ فقال «ثكلتك أمك يا معاذ ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم ـ أو قال : على مناخرهم ـ إلا حصائد ألسنتهم» ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجة في سننهم من طرق عن معمر به . وقال الترمذي : حسن صحيح .

ورواه ابن جرير من حديث شعبة عن الحكم قال : سمعت عروة بن الزبير يحدث عن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ قال له «ألا أدلك على أبواب الخير : الصوم جنة والصدقة تكفر الخطيئة ، وقيام العبد في جوف الليل» وتلا هذه الآية ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون﴾ ورواه أيضاً من حديث الثوري عن منصور بن المعتمر عن الحكم ؛ عن ميمون بن أبي شبيب عن معاذ عن النبي ﷺ بنحوه . ومن حديث الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت ، والحكم عن ميمون بن أبي شبيب عن معاذ مرفوعاً بنحوه . ومن حديث حماد بن سلمة عن عاصم بن أبي النجود عن شهر ، عن معاذ أيضاً عن النبي ﷺ في قوله تعالى : ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ قال «قيام العبد من الليل» .

وروى ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن سنان الواسطي ، حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا قطر بن خليفة عن

حبيب بن أبي ثابت والحكم وحكيم بن جرير عن ميمون بن أبي شبيب عن معاذ بن جبل قال : كنت مع النبي ﷺ في غزوة تبوك فقال «إن شئت نبأتك بأبواب الخير : الصوم جنة ، والصدقة تطفيء الخطيئة ، وقيام الرجل في جوف الليل» ثم تلا رسول الله ﷺ ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ الآية ، ثم قال : حدثنا أبي ، حدثنا سويد بن سعيد ، حدثنا علي بن مسهر عن عبد الرحمن بن إسحاق عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت : قال رسول الله ﷺ «إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة جاء مناد فنادى بصوت يسمع الخلائق : سيعلم أهل الجمع اليوم من أولى بالكرم ، ثم يرجع فينادي : ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع - الآية - فيقومون وهم قليل» .

وقال البزار : حدثنا عبد الله بن شبيب ، حدثنا الوليد بن عطاء بن الأغر ، حدثنا عبد الحميد بن سليمان ، حدثني مصعب عن زيد بن أسلم عن أبيه ، قال : قال بلال . لما نزلت هذه الآية ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ الآية ، كنا نجلس في المجلس وناس من أصحاب رسول الله ﷺ يصلون بعد المغرب إلى العشاء ، فنزلت هذه الآية ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ ثم قال : لا نعلم روى أسلم عن بلال سواه ، وليس له طريق عن بلال غير هذه الطريق .

وقوله تعالى : ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾ الآية ، أي فلا يعلم أحد عظمة ما أخفى الله لهم في الجنات من النعيم المقيم واللذات التي لم يطلع على مثلها أحد ، لما أخفوا أعمالهم كذلك أخفى الله لهم من الثواب ، جزاء وفاقاً ، فإن الجزاء من جنس العمل قال الحسن البصري : أخفى قوم عملهم ، فأخفى الله لهم ما لم تر عين ولم يخطر على قلب بشر ؛ رواه ابن أبي حاتم .

قال البخاري قوله تعالى : ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾ الآية ، حدثنا علي بن عبد الله ، حدثنا سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : «قال الله تعالى : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر» قال أبو هريرة : اقرؤوا إن شئتم ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾ قال : وحدثنا سفيان ، حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال : قال الله مثله . قيل لسفيان رواية ، قال : فأي شيء ؟ ورواه مسلم والترمذي من حديث سفيان بن عيينة به . وقال الترمذي : حسن صحيح ، ثم قال البخاري : حدثنا إسحاق بن نصر ، حدثنا أبو أسامة عن الأعمش ، حدثنا أبو صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ «يقول الله تعالى : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ذخراً من بله ما أطلعتم عليه» ثم قرأ ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾ قال أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح : قرأ أبو هريرة ﴿قرات أعين﴾ انفرد به البخاري من هذا الوجه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر عن همام بن منبه قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ «إن الله تعالى قال : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر» أخرجاه في الصحيحين من رواية عبد الرزاق ، قال : ورواه الترمذي في التفسير ، وابن جرير من حديث عبد الرحيم بن سليمان عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ بمثله ، ثم قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح . وقال حماد بن سلمة عن ثابت بن أبي رافع ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال حماد : أحسبه عن النبي ﷺ قال «من يدخل الجنة ينعم لا يأس ، لا تبلى ثيابه ، ولا يفنى شبابه ، في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» رواه مسلم من حديث حماد بن سلمة به .

وروى الإمام أحمد : حدثنا هارون ، حدثنا ابن وهب ، حدثني أبو صخر أن أبا حازم حدثه قال : سمعت سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه يقول : شهدت من رسول الله ﷺ مجلساً وصف فيه الجنة حتى انتهى ، ثم قال في آخر حديثه «فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر» ثم قرأ هذه الآية ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع - إلى قوله - يعملون﴾ وأخرجه مسلم في صحيحه عن هارون بن معروف وهارون بن سعيد ، كلاهما عن ابن وهب .

وقال ابن جرير : حدثني العباس بن أبي طالب ، حدثنا معلى بن أسد ، حدثنا سلام بن أبي مطيع عن قتادة عن عقبة بن عبد الغافر عن أبي سعيد الخدري ، عن رسول الله ﷺ يروي عن ربه عز وجل ﴿قال : أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ؛ ولا خطر على قلب بشر﴾ لم يخرجوه . وقال مسلم أيضاً في صحيحه : حدثنا ابن أبي عمر وغيره ، حدثنا سفيان ، حدثنا مطرف بن طريف وعبد الملك بن سعيد ، سمعا الشعبي يخبر عن المغيرة بن شعبة قال : سمعته على المنبر يرفعه إلى النبي ﷺ قال : سأل موسى عليه السلام ربه عز وجل : ما أدنى أهل الجنة منزلة ؟ قال : هو رجل يجيء بعد ما أدخل أهل الجنة الجنة ، فيقال له : ادخل الجنة ، فيقول : أي رب كيف وقد أخذ الناس منازلهم

وأخذوا أخذاتهم ؟ فيقال له : أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا ؟ فيقول : رضيت رب ؛ فيقول لك ذلك ومثله ومثله ومثله ، ومثله فقال في الخامسة ؛ رضيت رضيت ربي ؛ فيقول : هذا لك وعشرة أمثاله معه ، ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك ؛ فيقول : رضيت رب ، قال : رب فأعلاهم منزلة ؟ قال : أولئك الذين أردت ، غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها ، فلم ترعين ، ولم تسمع أذن ، ولم يخطر على قلب بشر ، قال : ومصداقه من كتاب الله عز وجل ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾ الآية ؛ ورواه الترمذي عن ابن أبي عمر وقال : حسن صحيح . قال : ورواه بعضهم عن الشعبي عن المغيرة ولم يرفعه ، والمرفوع أصح .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا جعفر بن المدائني ، حدثنا أبو بدر بن شجاع بن الوليد ، حدثنا زياد بن خيثمة عن محمد بن جحادة عن عامر بن عبد الواحد قال ؛ بلغني أن الرجل من أهل الجنة يمكث في مكانه سبعين سنة ، ثم يلتفت فإذا هو بامرأة أحسن مما كان فيه ، فتقول له : قد آن لك أن يكون لنا منك نصيب ، فيقول : من أنت ؟ فتقول : أنا من المزيد ، فيمكث معها سبعين سنة ، ثم يلتفت فإذا هو بامرأة أحسن مما كان فيه ؛ فتقول له : قد آن لك أن يكون لنا منك نصيب ؛ فيقول : من أنت ؟ فتقول : أنا التي قال الله ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾ .

وقال ابن لهيعة : حدثني عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير قال : تدخل عليهم الملائكة في مقدار كل يوم من أيام الدنيا ثلاث مرات ، معهم التحف من الله من جنات عدن ما ليس في جناتهم ، وذلك قوله تعالى : ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾ ويخبرون أن الله عنهم راض . وروى ابن جرير : حدثنا سهل بن موسى الرازي ، حدثنا الوليد بن مسلم عن صفوان بن عمرو عن أبي اليمان الهوزني أو غيره ، قال : الجنة مائة درجة ، أولها درجة فضة ، وأرضها فضة ، ومساكنها فضة ، وآنيتها فضة ، وترابها المسك ؛ والثانية ذهب ، وأرضها ذهب ، ومساكنها ذهب ، وآنيتها ذهب ، وترابها المسك ؛ والثالثة لؤلؤ ، وأرضها لؤلؤ ، ومساكنها اللؤلؤ ، وآنيتها اللؤلؤ ، وترابها المسك ؛ وسبع وتسعون بعد ذلك ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ؛ ثم تلا هذه الآية ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم﴾ الآية .

وقال ابن جرير : حدثني يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا معتمر بن سليمان عن الحكم بن أبان عن الغطريف عن جابر بن زيد عن ابن عباس عن النبي ﷺ عن الروح الأمين قال ويؤتى بحسنات العبد وسيئاته ينقص بعضها من بعض ، فإن بقيت حسنة واحدة وسع الله له في الجنة ، قال : فدخلت على بزداد فحدث بمثل هذا الحديث ، قال : فقلت : فأين ذهبت الحسنة ؟ قال ﴿أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم﴾ الآية ، قلت : قوله تعالى : ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾ قال : العبد يعمل سراً أسره إلى الله لم يعلم به الناس ، فأسر الله له يوم القيامة قرة أعين .

أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ
جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ۖ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ
لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ۚ إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾

يخبر تعالى عن عدله وكرمه أنه لا يساوي في حكمه يوم القيامة من كان مؤمناً بآياته متبعاً لرسله ، بمن كان فاسقاً أي خارجاً عن طاعة ربه ، مكذباً لرسل الله إليه ، كما قال تعالى : ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون﴾ وقال تعالى : ﴿أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار﴾ وقال تعالى : ﴿لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة﴾ الآية ، ولهذا قال تعالى ههنا ﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون﴾ أي عند الله يوم القيامة ، وقد ذكر عطاء بن يسار والسدي وغيرهما أنها نزلت في علي بن أبي طالب وعقبة بن أبي معيط ، ولهذا فصل حكمهم فقال ﴿أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أي صدقت قلوبهم بآيات الله وعملوا بمقتضاها وهي الصالحات ﴿فلهم جنات المأوى﴾ أي التي فيها المساكن

والدور والغرف العالية ﴿نزلا﴾ أي ضيافة وكرامة ﴿بما كانوا يعملون * وأما الذين فسقوا﴾ أي خرجوا عن الطاعة فمأواهم النار ، كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها ، كقوله ﴿كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها﴾ الآية ، قال الفضيل بن عياض : والله إن الأيدي لموثقة ، وإن الأرجل لمقيدة ، وإن اللهب ليرفعهم ، والملائكة تقمعهم ﴿وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون﴾ أي يقال لهم ذلك تقريعاً وتوبيخاً .

وقوله تعالى : ﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر﴾ قال ابن عباس : يعني بالعذاب الأدنى مصائب الدنيا وأسقامها وآفاتها ، وما يحل بأهلها مما يبتلي الله به عباده ليتوبوا إليه . وروي مثله عن أبي بن كعب وأبي العالية والحسن وإبراهيم النخعي والضحاك وعلقمة وعطية ومجاهد وقتادة وعبد الكريم الجزري وخصيف . وقال ابن عباس في رواية عنه : يعني به إقامة الحدود عليهم . وقال البراء بن عازب ومجاهد وأبو عبيدة : يعني به عذاب القبر . وقال النسائي : أخبرنا عمرو بن علي ، أخبرنا عبد الرحمن بن مهدي عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص ، وأبي عبيدة عن عبد الله ﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر﴾ قال : سنون أصابتهم .

وقال عبد الله بن الإمام أحمد : حدثني عبد الله بن عمر القواريري ، حدثنا يحيى بن سعيد عن شعبة عن قتادة عن عروة عن الحسن العوفي عن يحيى بن الجزار ، عن ابن أبي ليلى عن أبي بن كعب في هذه الآية ﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر﴾ قال : القمر والدخان قد مضيا والبطشة واللزام ، ورواه مسلم من حديث شعبة به موقوفاً نحوه . وعند البخاري عن ابن مسعود نحوه . وقال عبد الله بن مسعود أيضاً في رواية عنه : العذاب الأدنى ما أصابهم من القتل والسبي يوم بدر ، وكذا قال مالك عن زيد بن أسلم . قال السدي وغيره : لم يبق بيت بمكة إلا دخله الحزن على قتيل لهم أو أسير ، فأصيبوا أو غرموا ، ومنهم من جمع له الأمران .

وقوله تعالى : ﴿ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها﴾ أي لا أظلم ممن ذكره الله بآياته وبينها له ووضحها ، ثم بعد ذلك تركها وجحدها وأعرض عنها وتناساها كأنه لا يعرفها . قال قتادة : إياكم والإعراض عن ذكر الله ؛ فإن من أعرض عن ذكره فقد اغتر أكبر الغرة ، وأعوز أشد العوز ، وعظم من أعظم الذنوب ؛ ولهذا قال تعالى متهدداً لمن فعل ذلك ﴿إنا من المجرمين منتقمون﴾ أي سأنتقم ممن فعل ذلك أشد الانتقام . وروى ابن جرير : حدثني عمران بن بكار الكلاعي ، حدثنا محمد بن المبارك ، حدثنا إسماعيل بن عياش ، حدثنا عبد العزيز بن عبيد الله عن عبادة بن نسي عن جنادة بن أمية عن معاذ بن جبل قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ثلاث من فعلهن فقد أجرم : من عقد لواء في غير حق ، أو عق والديه ، أو مشى مع ظالم ينصره فقد أجرم ، يقول الله تعالى : ﴿إنا من المجرمين منتقمون﴾ ورواه ابن أبي حاتم من حديث إسماعيل بن عياش به ، وهذا حديث غريب جداً .

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾

يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله موسى عليه السلام أنه آتاه الكتاب ، وهو التوراة . وقوله تعالى : ﴿فلا تكن في مرية من لقائه﴾ قال قتادة : يعني به ليلة الإسراء ، ثم روي عن أبي العالية الرياحي قال : حدثني ابن عم نبيكم ، يعني ابن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ «أريت ليلة أسري بي موسى بن عمران رجلاً آدم طوالاً جعداً كأنه من رجال شنوءة ؛ ورأيت عيسى رجلاً مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض ، سبط الرأس ، ورأيت مالكاً خازن النار والدجال» في آيات أراهن الله إياه ﴿فلا تكن في مرية من لقائه﴾ أنه قد رأى موسى ولقي موسى ليلة أسري به .

وقال الطبراني : حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا الحسن بن علي الحلواني ، حدثنا روح بن عبادة ، حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أبي العالية ، عن ابن عباس عن النبي ﷺ في قوله تعالى : ﴿وجعلناه هدى لبني إسرائيل﴾ قال : جعل موسى هدى لبني إسرائيل ، وفي قوله ﴿فلا تكن في مرية من لقائه﴾ قال : من لقاء موسى ربه عز وجل . وقوله تعالى : ﴿وجعلناه﴾ أي الكتاب الذي آتيناه ﴿هدى لبني إسرائيل﴾ كما قال تعالى في سورة الإسراء ﴿وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل أن لا تتخذوا من دوني وكيلا﴾ .

وقوله تعالى : ﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾ أي لما كانوا صابرين على أوامر الله ،

وترك زواجره ، وتصديق رسله واتباعهم فيما جاءوهم به ، كان منهم أئمة يهدون إلى الحق بأمر الله ، ويدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ثم لما بدلوا وحرفوا وأولوا ، سلبوا ذلك المقام ، وصارت قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ، فلا عمل صالحاً ولا اعتقاداً صحيحاً ، ولهذا قوله تعالى : ﴿ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب﴾ قال قتادة وسفيان : لما صبروا عن الدنيا وكذلك قال الحسن بن صالح قال سفيان : هكذا كان هؤلاء ، ولا ينبغي للرجل أن يكون إماماً يقتدى به حتى يتحامى عن الدنيا قال وكيع : قال سفيان : لا بد للدين من العلم ، كما لا بد للجسد من الخبز . وقال ابن بنت الشافعي : قرأ أبي على عمي أو عمي على أبي : سئل سفيان عن قول علي رضي الله عنه : الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ألم تسمع قوله ﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا﴾ قال : لما أخذوا برأس الأمر صاروا رؤوساء . قال بعض العلماء : بالصبر واليقين تنال الامامة في الدين ولهذا قال تعالى : ﴿ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين وآتيناهم بينات من الأمر﴾ الآية ، كما قال هنا ﴿إن ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ أي من الاعتقادات والأعمال .

أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾

يقول تعالى : أو لم يهد لهؤلاء المكذبين بالرسل ما أهلك الله قبلهم من الأمم الماضية بتكذيبهم الرسل ، ومخالفتهم إياهم فيما جاءوهم به من قويم السبل ، فلم يبق منهم باقية ولا عين ولا أثر ﴿هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً﴾ ولهذا قال ﴿يمشون في مساكنهم﴾ أي وهؤلاء المكذبون يمشون في مساكن أولئك المكذبين ، فلا يرون فيها أحداً ممن يسكنها ويعمرها ، ذهبوا منها ﴿كأن لم يغنوا فيها﴾ كما قال ﴿فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا﴾ وقال ﴿وكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد * أفلم يسيروا في الأرض ـ إلى قوله ـ ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ ولهذا قال ههنا ﴿إن في ذلك لآيات﴾ أي إن في ذهاب أولئك القوم ودمارهم وما حل بهم بسبب تكذيبهم الرسل ، ونجاة من آمن بهم ، لآيات وعبرا ومواعظ ودلائل متناظرة ﴿أفلا يسمعون﴾ أي أخبار من تقدم كيف كان أمرهم .

وقوله تعالى : ﴿أو لم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز﴾ يبين تعالى لطفه بخلقه وإحسانه إليهم في إرساله الماء إما من السماء أو من السيح ، وهو ما تحمله الأنهار ويتحدر من الجبال إلى الأراضي المحتاجة إليه في أوقاته ، ولهذا قال تعالى : ﴿إلى الأرض الجرز﴾ وهي التي لا نبات فيها ، كما قال تعالى : ﴿وإنا لجاعلون ما عليها صعيداً جرزاً﴾ أي يبساً لا تنبت شيئاً ، وليس المراد من قوله ﴿إلى الأرض الجرز﴾ أرض مصر فقط ، بل هي بعض المقصود وإن مثل بها كثير من المفسرين فليست هي المقصودة وحدها ، ولكنها مرادة قطعاً من هذه الآية ، فإنها في نفسها أرض رخوة غليظة تحتاج من الماء ما لو نزل عليها مطراً لتهدمت أبنيتها ، فيسوق الله تعالى إليها النيل بما يتحمله من الزيادة الحاصلة من أمطار بلاد الحبشة ، وفيه طين أحمر ، فيغشى أرض مصر وهي أرض سبخة مرملة محتاجة إلى ذلك الماء وذلك الطين أيضاً ، لينبت الزرع فيه ، فيستغلون كل سنة على ماء جديد ممطور في غير بلادهم ، وطين جديد من غير أرضهم ، فسبحان الحكيم الكريم المنان المحمود أبداً .

قال ابن لهيعة عن قيس بن حجاج عمن حدثه قال : لما فتحت مصر أتى أهلها عمرو بن العاص ، وكان أميراً بها حين دخل بؤونة من أشهر العجم ، فقالوا : أيها الأمير إن لنيلنا هذا سنة لا يجري إلا بها قال : وما ذاك ؟ قالوا : إذا كانت اثنتا عشرة ليلة خلت من هذا الشهر ، عمدنا إلى جارية بكر بين أبويها ، فأرضينا أبويها ، وجعلنا عليها من الحلى والثياب أفضل ما يكون ، ثم ألقيناها في هذا النيل ؛ فقال لهم عمرو : إن هذا لا يكون في الإسلام ، إن الإسلام يهدم ما كان قبله ، فأقاموا بؤونة والنيل لا يجري حتى هموا بالجلاء ، فكتب عمرو إلى عمر بن الخطاب بذلك ؛ فكتب إليه عمر : إنك قد أصبت بالذي فعلت ، وقد بعثت إليك ببطاقة داخل كتابي هذا ، فألقها في النيل ، فلما قدم كتابه أخذ عمرو البطاقة ففتحها ، فإذا فيها : من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل أهل مصر ، أما بعد ، فإنك إن كنت إنما تجري من قبلك فلا تجري ، وإن كان الله الواحد القهار هو الذي يجريك ، فنسأل الله أن يجريك . قال : فألقى البطاقة في النيل فأصبحوا يوم السبت وقد أجرى الله النيل ستة عشر ذراعاً في ليلة واحدة ، قد قطع الله تلك السنة عن أهل مصر إلى اليوم . رواه

الحافظ أبو القاسم اللالكائي الطبري في كتاب السنة له ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿أو لم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون﴾ كما قال تعالى: ﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه أنا صببنا الماء صباً﴾ الآية، ولهذا قال ههنا ﴿أفلا يبصرون﴾.

وقال ابن أبي نجيح عن رجل عن ابن عباس في قوله ﴿إلى الأرض الجرز﴾ قال : هي التي لا تمطر إلا مطراً لا يغني عنها شيئاً إلا ما يأتيها من السيول ، وعن ابن عباس ومجاهد : هي أرض باليمن ، وقال الحسن رحمه الله : هي قرى فيما بين اليمن والشام . وقال عكرمة والضحاك وقتادة والسدي وابن زيد : الأرض الجرز التي لا نبات فيها ، وهي مغبرة ، قلت : وهذا كقوله تعالى : ﴿وآية لهم الأرض الميتة أحييناها﴾ الآيتين .

وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾

يقول تعالى مخبراً عن استعجال الكفار ووقوع بأس الله بهم ، وحلول غضبه ونقمته عليهم ، استبعاداً وتكذيباً وعناداً ﴿ويقولون متى هذا الفتح﴾ أي متى تنصر علينا يا محمد ؟ كما تزعم أن لك وقتاً تدال علينا وينتقم لك منا ، فمتى يكون هذا ؟ ما نراك أنت وأصحابك إلا مختفين خائفين ذليلين ، قال الله تعالى : ﴿قل يوم الفتح﴾ أي إذا حل بكم بأس الله وسخطه وغضبه في الدنيا وفي الآخرة ﴿لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون﴾ كما قال تعالى : ﴿فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم﴾ الآيتين . ومن زعم أن المراد من هذا الفتح فتح مكة فقد أبعد النجعة ، وأخطأ فأفحش ، فإن يوم الفتح قد قبل رسول الله ﷺ إسلام الطلقاء ، وقد كانوا قريباً من ألفين ، ولو كان المراد فتح مكة لما قبل إسلامهم لقوله تعالى : ﴿قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون﴾ وإنما المراد الفتح الذي هو القضاء والفصل كقوله ﴿فافتح بيني وبينهم فتحاً﴾ الآية ، وكقوله ﴿قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق﴾ الآية ، وقال تعالى : ﴿واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد﴾ وقال تعالى : ﴿وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا﴾ وقال تعالى : ﴿إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح﴾ .

ثم قال تعالى : ﴿فأعرض عنهم وانتظر إنهم منتظرون﴾ أي أعرض عن هؤلاء المشركين ، وبلغ ما أنزل إليك من ربك ، كقوله تعالى : ﴿اتبع ما أوحي إليك من ربك لا إله إلا هو﴾ الآية ، وانتظر فإن الله سينجز لك ما وعدك وسينصرك على من خالفك ، إنه لا يخلف الميعاد . وقوله ﴿إنهم منتظرون﴾ أي أنت منتظر وهم منتظرون ويتربصون بكم الدوائر ﴿أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون﴾ وسترى أنت عاقبة صبرك عليهم ، وعلى أداء رسالة الله في نصرتك وتأييدك ، وسيجدون غب ما ينتظرونه فيك وفي أصحابك من وبيل عقاب الله لهم ، وحلول عذابه بهم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

سُورَةُ الأَحْزَابِ

ترتيبها ٣٣ — آياتها ٧٣

قال الإمام أحمد : حدثنا خلف بن هشام ، حدثنا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن زر قال : قال لي أبي بن كعب : كأين تقرأ سورة الأحزاب أو كأين تعدها ؟ قال : قلت ثلاثاً وسبعين آية ؛ فقال : قط لقد رأيتها وإنها لتعادل سورة البقرة ، ولقد قرأنا فيها الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة ، نكالا من الله ، والله عزيز حكيم . ورواه النسائي من وجه آخر عن عاصم وهو ابن أبي النجود ، وهو أبو بهدلة به ، وهذا إسناد حسن ، وهو يقتضي أنه قد كان فيها قرآن ثم نسخ لفظه وحكمه أيضاً ، والله أعلم .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾